بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة ا لعربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المعرفة

العنوان: الكلام علي لسان الحال وبيان معانيها وحل الأشكال

الكلام على لسان الحال وبيان معانيها وحل الاشكال

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لبيد

مسئلة فيما يوجد في الشروحات الاحاديث النبوية والآثار السلفية كقول صاحب شرح الاربعين عبد الغافر ابن اسمعيل الفارسي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم حجرا كان بمكة يسلم علي اني لاعرفه الآن قال عبد الغافر تسليم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات الظاهرة للخارقة للعادات وهو يكون بخلق الله الحياة فيه قال التسليم من صفات الاحياء وعقل انه كان بلسان الحال كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده وتخصيص ذلك الحجر على هذا التاويل وجود مكاشفة خاصة له عند رؤية ذلك الحجر على ما يكون لارباب الاحوال مما لا يعرف الا بالذوق وتقصر عنه العبارة فهي تقتضي استيناسا به بمنزلة استيناس من ليس له علم بعض من هو من خواص معارفه والله اعلم ومن كان اجيد معنى قلة من كل ذرة سماع ومع كل ذرة خطاب على وفق ما هو فيه لا يعرفه غيره وعجايب احوال النبوة مما لا يدخل تحت الضبط والوصف محدث عنها ولا حرج وصدق بكل ما دخل تحت الامكان واندراج ومولانا يعلم ان هذا الباب وهو المقال بلسان الحال اذا انفتح لم يطبق لنائقة بلسان المقال اذا التبست الاحوال وتطرق الاحتمال وقد قال الطايفة

تعالى

من الناس بلسان الحال ما يقصر القلم عن بثه فكم من قيام السائل
والمجيب والجامدات والحيوانات ونحو ذلك مما تراه في الكتب
فمولانا يكتب لي ما انتفع به في هذا الباب الجواب
الحمد لله رب العالمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الامور التي انتم محتاجون الى معرفتها فاكتبوها مسائل
مسائل وقول القايل ان القلم يقصر عن بثها المايقال
يقصر عن تفصيلها فاما ذكر محمد له في سؤال فلا يخرجه
احاد ولو كان السؤال محيطا واما ذكر من يخاطب
الجامدات فهذا جلس تحته انواع متعددة فما ذكره
طايفة كابي حامد وغيره انها تخاطب بلسان الحال
والشهد وتقول فمعنى دلالتها هي دالة عليه وان لم
يكن لها قصد ولا شعور تنفسر دلالة الدليل على مدلوله
يبين للمستدل ما يفهمه من الدلالة ويقال هذا يشهد
بكذا وينطق بكذا ويخبر بكذا وهذا موجود في كلام العرب
نظما ونثرا كقولهم
امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني
وفي كلام العرب قالت الاتساع للبطن الحق كثيرا
ما يذكرون خطابهم للديار واحايتها منه قولهم
• وقف بالديار على ياسل حزينا وقل اين اصحابها •
• واين الملوك ولاة العهود رقاة المنابر خطابها •
• تجيبك انا رهم عنهم اليك فقد مات اصحابها •

وهذا

وهذا كثير لكن هذا لا يشترك فيه جميع الموجودات ولا يشترك
في الاستدلال بها جميع العقلاء انما يتفاوتون بالذكاء والفطنة
كتفاوتهم في الاستدلال بسائر الادلة فان الدليل
هو المستدل فما لم يعلم الملزوم لم يعلم الدلالة من هذا
الباب قول القايل سل الارض من فجر انهارك وغرس اشجارك
وجنى ثمارك فان لم تجبك اجابتك اعتبارا ودلالة المخلوق
على وجود الخالق وقدرته ومشيئته وعلمه ورحمته من هذا
الباب لبعض الاعراب ما الدلالة على وجود الصانع
فقال يا سبحان الله البعرة تدل على البعير واثر القدم
يدل على المسير • عالم علوي مع اللطافة • ومركز سفلي
مع هذه الكثافة الا يدلان على اللطيف الخبير • ومن زعم
انها خوطب بها الانبياء فهو كله من هذا الباب فهو من
المتفلسفة والجهمية الذين يقولون ان رب
العالمين نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بنفسه يفصد
به الافهام • اما المتفلسفة فانه عندهم لا يعرف
الجزئيات ولا يقصد فعل شيء وانما الكلام الذي اضافه
الرسل اليه هو كله من باب لسان الحال وما هو من مصلحة
الكاينات تدل على ان مصلحة العالم هو قول عدلي قالوا
عندهم يامر بالعدل بهذا الاعتبار لا بمعنى انه نفسه
تكلم وخاطب عبدا من عبيده يقصد تعريفه بانه يبلغ
عنه رسالاته لا ملكا ولا بشرا بل لا علم عندهم له باعيان

هذه

الموجودات وهذا يقولون هؤلاء ان النبوة مكتسبة وان من صفى
نفسه وتم استعداده فاض عليه مثل هذا الكلام المنسوب الى الله
وقيل له فمن قائد فهؤلاء اذا احتمل لهم خطاب فهو من الشيطان
وعبادهم وزهادهم هم من ارباب الاحوال الشيطانية
ومن جنس الكهان والسحرة والاصنام عبدت بقول
مثل هؤلاء وخرق العوائد من الفرج والتراكيب فهم
من هؤلاء فانه يرد عليهم خطاب من يواطئهم بامر ونهي فيحسبون
انه من الله وانما هو من شياطينهم كانت الشياطين تدخل
في الاصنام وتتكلم وتتراءى للسدنة وهذا مأثور عن
الصحابة ابن عباس وغيره وذكر ذلك في تفسير قوله
تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا
مريدا وقال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل
على كل افاك اثيم وقال تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون فمنهم من تنزل وعليه وحي
ومنهم من الشياطين وكذلك كان الاسود العنسي ومسيلمة
الكذاب لهم تنزل ووحي وقرين مكاشفات واخبارات
ببعض المغيبات كالكهان لكن لابد ان يقع منهم الكذب
وهذا مما فرق الله به بين الحق والباطل فلا بد ان يكون
خبرهم كله صدقا وعملهم كله برا بل لابد ان يكون في احدهم
من الكذب والفجور بما يستنزل الشياطين عليه لتوافق
قوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وجنس السياح من

هذا

هذا الباب وهم كثيرون في الطوائف الخارجين عن الكتاب والسنة
وكلما بعد الرجل عن الرسول اكثر كانت الشياطين اليه اقرب قال
تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
وذكره كتابه الذي انزل على نبيه الذي ارسله فكلما اعرض الرجل
عن ذلك اقتربت به الشياطين حتى انه يكون لهم في بلاد الشرك
من الظهور ما لا يوجد نظيره في بلاد الاسلام حتى انه اذا مات
الميت جاءهم في صورته فلا يعتقدون انه الا الميت فيرد ويدخل
ويقضي ديونا ويفعل اشياء يغيب فيظنون ان الميت نفسه
جاء انهم وانما هو شيطان تمثل على صورة
واما نطق الجمادات احيانا قطعا ليسمعه من يسمعه الله ولد
من الانبياء وغير الانبياء فهذا ايضا حق كما ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعرف حجرا بمكة كان
كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن هذا حجر بعينه
دون غيره من الاحجار كان يسلم عليه ولسان الحال مشترك
بين الاحجار كلها وقد ثبت عن ابن مسعود انه قال كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل فهذا التسبيح سمعه الحاضرون
باذانهم كذلك حنين الجذع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب اليه فلما وضع له المنبر وخطب عليه حن اليه الجذع
اليه حتى سمعه الحاضرون باذانهم كما تحن الناقة الى ولدها
فهذا صوت مسموع للحاضرين ليس مجرد لسان الحال وكذلك قوله
سبحانه عن داود وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير قال

اهل المسجد

هذا صح عن ابن عباس فمراد الحسن ان السموات ليس فيها مكره
وقول الحسن المهاجرون والانصار واهل العرب من اراد به من اسلم
بمحمد صلى الله عليه وسلم طوعا بلا قتال والا فالاية
اعم ممن اسلم حين بعث محمد او اسلم قبل ذلك من الانبياء
واتباعهم وايضا فالذين اسلموا بمحمد بالسيف صاروا اكثرهم
مسلمين طوعا بعد ذلك واما قول من قال المراد اسلامهم
يوم الميثاق كما يروي عن السدي وغيره فهذا ضعيف
جدا لان الاية دخل فيها الملائكة والجن والبهائم والميثاق
انما جاء في بني ادم فذلك الاقرار ان كان اسلاما فكلهم
كانوا طائعين لا مكره فيهم وايضا فذلك اقرار مجرد
ليس فيه استسلام لله وان كان هذا اسلاما فكل مولود
يولد على الفطرة كما ثبت ذلك في الصحيح وقد بسطنا القول
فيه في غير هذا الموضع وبين ان المراد على فطرة الاسلام
كما ثبت ذلك فيه وفي الصحيح يقول الله تعالى خلقت عبادي
حنفاء وغير ذلك من النصوص وكذلك قول من قال الكافر
يسجد ظله كرها كما يروي عن مجاهد ضعيف ايضا فان الكافر
لا يمكن انبساط ظله على الارض وايضا فليس ذلك من فعله
حتى لا يقال ان فعله كرها لله يقتضي انه لنفسه اسلم لله
كرها وكذلك قول من قال انه اسلام من اسلم مخافة السيف
كما نقل عن عكرمة فهو ضعيف فانه ليس كل من في الارض
اسلم مخافة السيف بل خلق كثير لم يدخلوا في دين الا طوعا

الحديث ص

ولا

ولا كرها وايضا فالمامورون بالاسلام خوفا السيوف هو مقبول
منهم في الظاهر فانه قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الاخرة من الخاسرين وقال فغير دين الله يبغون وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها فهؤلاء الذين يبغون
غير دين الله اذا اسلموا كرها فكيف يحتج عليهم بفعلهم وايضا
فان كون الناس منقادون لصاحب السيف ليس بدليل على انه
والنبوة انما تثبت بالبراهين والدلايل والسيف اكرههم
على الحق لان مجرد قهرهم بالسيف حجة عليهم بخلاف استسلامهم
لله عند الصرورات فانهم يفعلون ذلك بقصدهم واراداتهم
لحاجتهم وتخضع قلوبهم له حتى باطنهم من الذل والاستسلام
ما يعرفونه هم ويصيرا قرارهم به وذلهم له امرا قد اضطروا
له في الباطن وهذا هو الاسلام له كرها واذا كان الاستسلام
بهذا
بيع اضطرارا فالاقرار به داخل في ذلك وعلى جمهور الناس
وهو ان الاقرار بالصانع والخضوع له قد يقع اضطرارا بل
الامر كما قاله الشهرستاني المعارف التي تحصل من تجربات
احوال الاضطرار اشد رسوخا في النفوس من المعارف التي
هي نتايج الافكار في حال الاختيار واما قول من قال
من المتاخرين كالجاحظ وغيره ان المراد نفوذ مشيته وقدرته
فيهم وخضوعهم لامره الخلقي القدري في جبلتهم لا يقدر
احدهم ان يمتنع من جبلة جعل عليها ولا على تغييرها فهذا من
اضعف الاقوال فان هذا لا يسمى اسلاما له البتة فان القدر

ينفذ في الانسان مع وطء كفره وجحوده كما كان ينفذ في فرعون
قبل غرقه ولا يقال انه كان قد اسلم لله في حال مجده واستكباره
وان كان القدر نافذ فيه **وايضا** فالامر القدري لا ينقسم
الى طوع وكره بل الرب يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته
وانما ينقسم الى طوع وكره فعل العبد لا فعل الرب
كقوله في الاية الاخرى من في السموات والارض طوعا وكرها
وقوله للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وهكذا مما يدل على ان السموات وغيرها مطيعة لله ليس المراد
سجودها وتسبيحها مجرد نفوذ القدر فيها فان ذلك
ينقسم الى طوع وكره بل هذا يصدر ان ممن يفعل هذا
الشيء تارة طوعا وتارة كرها **قال** تعالى قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين
والقول الذي رواه اسرائيل عن جابر الجعفي عن الشعبي
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال استفادتهم
له **قال** ابو الفرج وهذا يعني قول الزجاج **وقد** يقال
لفظ الشعبي محل فانه قد يراد استفادتهم له اي خضوعهم
له وانقيادهم له هو لا عند الضرورات وهو لا عند الامر
والافتقار القدري فيهم ليس منهم فعل اصلا فان الله قد
خلق الانسان ولم يكن شيئا فلا يقال ان المعدوم استسلم لله وخضع
له وانقاد وهو لا وجود له كذلك اذا خلق الجنين في
بطن امه وصوره لا يقال انه مستسلم له منقاد بل تفوذ تكوين

الرب

الرب وخلقه في العباد لا يحتاج الى استسلام بل ولا شعور ولا
وجود ولا شيء اصلا وهم في ذلك كسائر المخلوقات **ولا** يقال في
شيء من ذلك استسلموا لاطاعتي ولا كارهين بل لا فعل لهم
اصلا **ولهذا** لا يقال لمن مات قد اسلم ولا لمن مرض انه
بمجرد مرضه قد اسلم اصلا بل لا يكون الا استسلام له الا مع
قصد وارادة وخضوع وذل من المستسلم **وذلك** فعل منه
يشعر به ويفعله كما يفعل غيره من الافعال **ومن المعلوم** ان الا سير
يستسلم لمن اسره كرها والانسان يحتاج الى ان يسأل عدوه
ويخضع له كرها من غير فعل من عدوه به اصلا بل تجيئه الحاجة
اما طلب الرزق واما الخوف الى ان يخضع لغيره ويذل له كرها
ولو لا ضرورته لم يخضع له البته **بل** يوحد جابر الناس
اذا قهروا ذلوا واستسلموا وانقادوا ومن احتاجوا اليه
فلن يقهرهم اكثر من غيرهم **فهذا** من الاستسلام كرها
والاستسلام لنفوس الله كرها اعظم من هذا كله فانهم
قد عرفوا انه لا يزيل ضررهم الا هو وانه قادر على تعذيبهم
لا ملجأ ولا معاذ منه الا اليه **قال** تعالى **ام** حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون **وقال**
تعالى ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
ان الكافرون الا في غرور ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك
رزقه بل لجوا في عتو ونفور **وقال** تعالى قل ارايتم ان
اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين **وقال** تعالى قل ارايتم ان

اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين
وقال تعالى قل ارايتكم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على
قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم
يصدفون وكذلك ذكروه في تفسير قوله تعالى ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها ان المراد سجود ظل الكافر
كما نقل عن مقاتل او المراد دخول من دخل في الاسلام بالسيف
كما نقل عن ابن زيد او المراد نفوذ مشيئة الرب وقدره فيهم
بالعافية والمرض والحيي والغير ونحو ذلك فهذه الاقوال الثلاثة
ضعيفة ولم يذكر ابو الفرج غيرها والسجود مكية عند الجمهور
واستثنى بعضهم شيأ يسيرا ومن قال انها مدنية فقد غلط
جميع دواتا لرمكات ولم يكن عكه سيف وايضا فهو قد
عم من في السموات والارض والمسلمون قليل من هؤلاء والكفار
الذين لم يقروا بالسجود طوعا ولا كرها كثيرون في جوانب الارض
وقد خلوا في الاية وسجود الظل لا يتاتى فيه لا طوعا ولا كرها
فان ذلك ليس من فعل الانسان البتة والله سبحانه ذكر الظلال
عموما في قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء تتفيؤ ظلاله عن
اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون وهذا يدخل فيه الجماد
والشجر والدواب والناس كلهم والسجود في اللغة الخضوع
قال الجوهري سجد خضع وقال
ترى الالم منها سجدا للحوافر
قال ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الارض واسجد

الرجل

الرجل اذا طاطأ راسه وانحنى فاذا كان السجود في اللغة اسم
جنس للخضوع وانما وضع الجبهة السجود الذي امرنا نحن به
كما ان الصلاة اسم جنس والصلاة على الصفة التي نصلي عليها
هي الصلاة التي امرنا بها وصلاة الملائكة والطير والدواب
كل بحسبه وكذلك سجوده ومنه قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا
احرفها وجد مكتوبا بخط المؤلف كما ذكر
كاتب نسخة الاصل والحاير ايضا
لهذا الفرع هو السيد الرئيس
الحسيب النسيب
مولانا القضاي
شمس الدين محمد
الحريري
عامله الله
بلطفه
الخفي
٣

نهاية المخطوطة